تحت شجرة السنديان

شهر زاد خلايفة
الجزائر / معلمة

تذكرت تفاصيل صغيرة شدت انتباهي عندما التقينا صدفة تحت شجرة السنديان بالجهة الشرقية للمدينة٠ كنتُ مشدوهة من ثقافتك، سعة حِلمك و روعتك في انتقاء ألفاظك٠ كنتُ كلما سمعت نبرة صوتك الحزينة أنجذب إليك بصورة خيالية خالبة من أيّ نقائص٠ كلما نظرت في البحيرة رأبت صورتك بوضوح بل و وجدت أدق تفاصيل وجهك فيها٠ لا أدري لماذا كلما كتبتُ قصيدة كنتَ بين حروفها، كلما رسمتُ لوحة كنتَ ظل أشكالها، كلما كتبتُ قصة كنتَ بطلها. لحظات فقط هي التي قضيناها معا لكنها رسمت في حياتي محطات تنوعت بين العشق و الكره، بين الألم و الأمل ،بين التجاهل و النسيان٠ هي متضادات تعيش بداخلي خَلقَتها عباراتك عن الحب والحرب في فسحة أمل عن الضياع و الضياع٠

عن الضياع بعد الهجران و الضياع في عبون رمقتك و اصطدتها لتسقط فريسة لم تجد مُنقذا من جمال أسَرها إلى أن يرث الله الأرض و من عليها٠ هي لحظات عابرة بالكاد أحيانا أذكرها، و أحيانا أخرى أتنفس عشقا لتذكِّرها٠ لا أفهم نفسي أو ربما هي من عجزت عن فهمي، فأنا أشتاق لصبيانيتك و جنونك ثم لا ألبث أن أتذكر تكبرك و جبروتك فأكرهك و أكره غرورك٠

أتعجّب من الصدف فهي تلاقينا بمن يكون سببا في سعادتنا و أيضا تضع في طريقنا من يُشقينا٠ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نختار مايدخل السرور إلى زنزانتنا المغلقة أو نتجنب منها ما يُعكر صفو حياتنا و يعطي الفرصة لجلادينا، أن يشتروا أجود أنواع السياط المصنوعة من الجلد الفاخر حتى يتلذذ السجان بتعذيب أرواحنا قبل أجسادنا٠ غريبة هي الأقدار تطير بنا مرات بين السحب حتى يُخيَّل لنا بأننا في جنان الرحمن و مرات أخرى

ترمي بنا إلى ظلام سرمدي، جحيم ظالم، قاسٍ لا نهاية له٠ تشتد رياح الغدر و تعتصر قلوبنا لتخنق أرواحنا ثم ما تلبث أن ترسل لنا السماء نسمة لطيفة تمسح برفق على جروح أدماها الزمن٠

غادرتَ روحي إلى حيث اللاعودة، تركتَني وحيدة بين سطور كُتِبت بدمع القلب راجية من المولى تيسير نسيانک و ملأ فؤادي بعبق الحياة علِّي أرجع و أعيش مع الأحياء -